الصباح الإسلامية
09
العدد 1660 - السنة السادسة
الاربعاء 5 ذي القعدة 1434 - الموافق 11 سبتمبر 2013
Wednesday 11 September 2013 - No.1660 - 6th Year

شبهات وردود حول تعدد الزوجات في الإسلام

تساؤلات يطرحها المشككون في دين الله على انها شبهات قد تجد قبولا عند من لا يعرف حقيقة الشريعة الإسلامية الغراء ومن هذه الشبهات:

لماذا يبيح الشرع التعدد للرجال ولا يبيحه للنساء؟

الشريعة أباحت للمسلم أربع نسوة في حين كان للرسول صلى الله عليه وسلم تسع من النساء لماذا؟

ونحن نرد عليهم بتساؤلين:

هل جاء الإسلام بالتعدد أم انه كان موجودا قبل الإسلام؟

هل التعدد فيه ظلم للمرأة وهضم لحقوقها؟أم انه صيانة لها وحفظ لديمومة الحياة الزوجية؟

إن أعداء الإسلام لما عجزوا عن مواجهة الإسلام بالطرق والأساليب المشروعة لجأوا إلى الأبواب الخلفية وراحوا يطعنون في الإسلام وتشريعاته التي تعتبر هي إعجازا وليست شبهات وهو بفضل الله يوما بعد يوم يثبت انه نصر للإسلام وزيادة في اتباعه عن طريق من يشككون في المعجزة الخالدة. قال الله تعالى: «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون».

ومن جملة هذه الشبهات: إن نظام التعدد يكاد يكون مقصوراً على الأمم التي تدين بالإسلام، وانه لا ينتشر إلا في الشعوب المتأخرة في الحضارة.

نظام التعدد هو مسايرة لدواعي الشهوات عند الرجال، وانه إهدار لكرامة المرأة وإجحاف بحقوقها.

انه إهدار لمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة الذي يقتضي أن يكون الزوج خالصا لزوجته كما هي خالصة له.

ان تعدد الزوجات مدعاة للتنازع الدائم بين الزوج وزوجاته، وبين الزوجات بعضهن مع بعض، كما أنه مصدر للشقاق والتنافر مما يؤدي إلى إشاعة الفوضى والاضطراب في حياة الأسر، ويعيش الأولاد في جو فاسد.

والرد على هذه الشبهة مثل شبهات كثيرة هي في الأصل ليست بشبهات ولكنها عند تدقيق النظر فيها هي محض فضل ونعمة من العلي القدير على هذه الأمة التي يزيد الحاقدون عليها يوما بعد يوم وكلما ازداد حقدهم علا شأنها.

إن مسألة إباحة تعدد الزوجات كانت سائدة من قبل ظهور الإسلام في شعوب كثيرة.. يقول علي عبد الواحد في كتابه «المرأة في القرآن»: «فالحقيقة ان هذا النظام كان سائدا من قبل ظهور الإسلام في شعوب كثيرة منها الإسرائيليون، العرب، الهنود، البرهميون، الإيرانيون، الزادشتيون، وشعوب الصقالبة أو السلافيون التي ينتمي إليها معظم أهل البلاد التي نسميها روسيا وليتوانيا، وأستونيا، وبولونيا.. وعند بعض الشعوب الجرمانية والسكسونية».

التعدد في الديانة اليهودية: تبيح تعدد الزوجات بدون عدد محدود، ولم يرد في التوراة نهي عن ذلك، وإنما ورد انه مباح ومأثور عن أنبيائهم فقد ورد في العهد القديم في سفر الملوك الأول، الإصحاح الحادي عشر، فقرة رقم (3) «وكانت له سبع مئة من السيدات وثلاث مئة من السراري».

سفر التكوين، الإصحاح الثامن والعشرون، فقرة (9).. فذهب عيسو إلى إسماعيل وأخذ محلة بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت نيابوت زوجة له على نسائه.

وعند الحديث عن يعقوب بن إسحاق يذكر سفر التكوين، الإصحاح الثاني والثلاثون، فقرة (22) «.. ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر».. وقد ذكر في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يؤكد التعدد في الديانة اليهودية فقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله». (البخاري ومسلم في باب الاستثناء).

أما في الديانة النصرانية فإنه لم يرد في الأناجيل نص يمنع التعدد، بل ورد في بعض رسائل بولس ما يفيد أن التعدد جائز فقد قال: «يلزم أن يكون الأسقف زوجا لزوجة واحدة».

يذكر العقاد في كتابه المرأة في القرآن: أن وستر مارك العالم الثقة في تاريخ الزواج يقول: «إن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي إلى القرن السابع عشر، وكان يتكرر كثيرا في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة».

ومما يعرف عن مارتن لوثر زعيم الإنجيليين أنه أول من أقر تعدد الزوجات واحتج على كراهية الكهنة للزواج لدرجة أنه تخلى عن رهبنته وتزوج من راهبة، وكل هذا ليرسم طريقا جديدا في التفكير حتى أصبح يتكلم في مناسبات شتى عن تعدد الزواج.

ويقول د.مصطفى السباعي في كتابه «المرأة بين الفقه والقانون»: «المسيحيون في افريقيا يتخذون تعدد الزوجات وسيلة لنشر رسالتهم التبشيرية بعد أن وجدت الإرساليات التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعي وهو تعدد الزوجات لدى الإفريقيين الوثنيين، ورأوا الإصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين الدخول في النصرانية، فنادوا بوجوب السماح للإفريقيين المسيحيين بالتعدد إلى غير حد».

ويقول أيضا – رحمه الله – في نفس الكتاب: والشعوب الغربية النصرانية وجدت نفسها تجاه زيادة في عدد النساء على الرجال – وبخاصة بعد الحربين العالميتين – إزاء مشكلة اجتماعية خطيرة، لاتزال تتخبط في إيجاد الحل المناسب، وقد كان من بين الحلول تعدد الزوجات.

في عام 1948 عقد مؤتمر الشباب في ميونخ بألمانيا، وبحث مشكلة زيادة النساء وكانت النتيجة أن أقرت اللجنة توصية المؤتمر بإباحة تعدد الزوجات.

يقول جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»: إن مبدأ نظام تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به ويزيد الأمم ارتباطا ويمنح المرأة احتراما وسعادة لم ترهما في أوروبا.

التعدد في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام: فحدث ولا حرج حيث كان التعدد بغير قيود ولا حدود ففي سنن أبي داود عن الحارث بن قيس قال: أسلمت وعندي ثماني نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اختر منهن أربعاً».

من كل ما سبق يتبين أن التعدد لم يكن مقصوراً على الدين الإسلامي لكن لماذا أباح الإسلام هذه الرخصة؟

يجيبنا عن هذا السؤال صاحب تفسير الظلال فيقول: ان الإسلام نظام واقعي وإيجابي يتوافق مع فطرة الإنسان وتكوينه، ويتوافق مع واقعه وضروراته ويتوافق مع ملابسات حياته المتغيرة في شتى البقاع وشتى الأزمان وشتى الأحوال.

فكيف نعالج هذا الواقع، الذي يقع ويتكرر وقوعه بنسب مختلفة هذا الواقع الذي لا يجدي فيه الإنكار؟ نعالجه بهز الكتفين؟ أو نتركه يعالج نفسه بنفسه حسب الظروف والمصادفات؟ ولابد إذن من نظام، ولابد إذن من إجراء.

عندئذ نجد أنفسنا أمام احتمال من ثلاثة: أن يتزوج كل رجل صالح للزواج امرأة صالحة للزواج وتبقى واحدة أو أكثر بدون زواج.

أن يتزوج كل رجل صالح للزواج امرأة واحدة زواجا شرعيا ثم يخادن أو يسافح واحدة أو أكثر فلا يعرفن الرجل إلا خليلا في الحرام.

أن يتزوج الرجال الصالحون امرأة أو أكثر وأن تعرف المرأة الأخرى الرجل، زوجة شريفة، في وضح النور لا خليلة في الحرام والظلام.

الاحتمال الأول: ضد الفطرة وضد الطاقة ولا يندفع هذا باشتغال المرأة عن الرجل بالعمل والكسب كما يدعي البعض فهناك مطالب للجسد والغريزة كما هناك مطالب للروح والعقل من السكن والأنس بالعشير.

الاحتمال الثاني: ضد اتجاه الإسلام النظيف وضد قاعدة المجتمع الإسلامي العفيف، وضد كرامة المرأة والذين لا يكترثون أن تشيع الفاحشة في المجتمع هم أنفسهم الذين يتعالمون على الله ويتطاولون على شريعته.

الاحتمال الثالث: هو الذي يختاره الإسلام، يختاره رخصة مقيدة لمواجهة الواقع الذي لا ينفع فيه هز الكتفين

فنحن نرى أن فترة إخصاب الرجل تمتد حتى السبعين وللمرأة تقف عند الخمسين فهناك في المتوسط عشرون سنة من الإخصاب في حياة الرجل لا مقابل لها عند المرأة ومن الحالات الواقعية ما نراه أحيانا من رغبة الزوج في أداء الوظيفة الفطرية، مع رغبة الزوجة عنها مع رغبة كليهما في امتداد العشرة الزوجية وكراهية الانفصال فكيف نواجه هذه الحالات؟

نجد أنفسنا أمام احتمال من ثلاثة:

الاحتمال الأول: أن نكبت الرجل ونصده عن مزاولة نشاطه الفطري بقوة التشريع وقوة السلطان ونقول له عيب يا رجل ان هذا لا يليق ولا يتفق مع حق المرأة.

الاحتمال الثاني: أن نطلق هذا الرجل يسافح من يشاء من النساء.

الاحتمال الثالث: أن نبيح لهذا الرجل التعدد ونتوقى طلاق الزوجة الأولى.

أيهم تختار؟؟

بالطبع هو الاختيار الثالث الذي قال به الإسلام ومن كل ما سبق يتبين لنا أن ما يحاولون الطعن به هو موطن إعجاز ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

كيف تتخلص من عاداتك السلبية في 8 خطوات؟

الدعاء في السنة النبوية أول أدوات التغيير والتخلص من العجز والكسل

هذه جملة من القواعد السلوكية التي رصدها اهل الاختصاص في كيفية تغيير السلوك الخاطئ، وعموما لا يختلف خمسة وخمسون عاقلا على أن كل إنسان له عادات سلبية، بغض النظر عمن المسؤول عن زرع هذه العادات السلبية فينا كبشر! المسؤولية مشتركة بين الإنسان والمحيط الخارجي في زرع تلك الصفات من وجهة نظري. لكن ما يهمنا الآن هو هل يمكن تغيير هذه العادات؟ وإذا كان يمكن تغييرها، فكيف يمكننا ذلك؟

القاعدة الأولى: الدعاء.. في السنة النبوية ثمة احاديث هامة وارى ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» رواه البخاري.. مع التركيز على الجزء الأول من الحديث والذي شرحه ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) شرحا بليغا حين قال: «فالعجز عدم القدرة على الحيلة النافعة، والكسل عدم الإرادة لفعلها» انتهى كلامه رحمه الله.

اي ان العجز هو عدم القدرة على التغيير الإيجابي، والكسل عدم الرغبة في التغيير الإيجابي. فاكثروا من الدعاء.

القاعدة الثانية: القمع.. يجب أن تعلم النفس تفتيت العادات السلبية. والتخلص من عادة سلبية واحدة أصعب من التخلص من 1000 عادة إيجابية.

جرب مثلا أن تتوقف عن «كنس» أسنانك في الليل بـ«مكنسة» الأسنان؟ جربها يوما واحدا او ثلاثة أيام مثلا وسوف تتوقف عن فعل ذلك إلى الأبد..جرب الصلاة في بيتك بدلا من المسجد مرة واحدة وسوف تجد يعهدها أن الصلاة في المسجد (تشدد) أو أصبحت أكثر (ثقلا)!

فإذا بدأت في التخلص من عادة سلبية، واستخدمت أسلوب التدرج، فسوف تجد أن النفس تنفر في بادئ الأمر...فاقمع الشعور بالتكاسل..واعلم أن الفرق بين النجاح والفشل قد يكون احيانا في خطوة واحدة..وتذكر أيضا..أن النصر إنما صبر ساعة كما أخبر الإمام علي بن ابن طالب رضي الله عنه.

القاعدة الثالثة: الكتابة .. اكتب عاداتك السلبية في جدول من ثلاثة أعمدة وضع ما شئت من السطور «بعد عاداتك السلبية!» وفي العمود الاول اكتب العادات السلبية، وفي العمود الثاني اكتب الإيجابية التي تريد الوصول إليها، وفي العمود الثالث ضع موعدا للوصول إلى العادة الجديدة مع ملاحظات. الكتابة تعودك على المتابعة، كما أنها تشعرك بأن العادة السلبية موجودة وتجعلك تراها أمامك، لأنه من الصعب على الإنسان رؤية عيوبه أمامه.

القاعدة الرابعة: القراءة.. تتبع سير العظماء والناجحين وهم كثر. اقرأ الكتب التي تتحدث عن عادات الناجحين وكيف اكتسبوا هذه العادات. فهذه القراءة تزودك بالحافز وتعطيك خلاصة كيف اكتسبوا هذه العادات.

القاعدة الخامسة: التدرج..حيث أن البشر متفاوتون في قدراتهم، وحيث أن ثمة عادات تتطلب تغييرا فوريا واخرى تدريجيا، فيجب على الإنسان النظر في تلك العادة، ويقوم بالتخلص منها تدريجيا، مثلا: لو كان الإنسان يتأثر صحيا بتركه التدخين فجأة، فيمكن التقليل يوميا بمعدل ثابت ويقاوم أيضا. لأن التدريج لا يعني (الدلع والدلال) بل حتى التدرج يلزمه بعض القسوة على النفس.

القاعدة السادسة: التوقيت.. هناك اوقات أفضل من أخرى في ترك العادات، فمثلا، عادة القراءة يمكن تنميتها في الفترة الصباحية قبل الخروج إلى العمل أو المدرسة أو الجامعة، حيث أن وقت الفجر من أنفس الاوقات للقراءة والتعلم.

والامر المهم أيضا أن نعرف أن تغيير العادة يستغرق وقتا، وهناك أبحاث قالت انه يلزم 21 يوما لتغيير العادة، واخرى قالت 30 يوما، لكني أعتقد بأن30 يوما هي أقرب للصواب لأن الله تعالى جعلها أيام شهر رمضان، حيث يمكن لرمضان تغيير عادات كثيرة مثل التخلص من التدخين، التعود على القراءة اليومية للقرآن، التحصل على التقوى بنهاية الشهر كما قال ربنا عز وجل «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» سورة البقرة، الآية 183.

القاعدة السابعة: للعوقات.. من أهم اسباب النكوص على العقب وترك تغيير العادات هو وجود معوقات في طريق تغيير العادة، وهذا شيء طبيعي. الم تحف طريق الجنة بالمكاره؟ فيجب على المرء التعرف على المعوقات وكتابتها بجانب كل عادة يريد التخلص منها، ومن ثم يبدأ في إزالة هذه المعوقات أو تفاديها. فلو كان له «شلة» سوء تدفعه للتدخين فالواجب ترك هذه «الشلة». ولو كان ضجيج وصراخ الأطفال هو ما يعيق القراءة.. ماذا نفعل؟ «هل نطردهم إلى الشارع! كلا...» لكن، خصص وقتا مناسبا يكون فيه هؤلاء «الأوغاد» الصغار نائمون أو خصص مكانا بعيدا عن مصدر الضجيج. وهكذا.

القاعدة الثامنة: التركيز.. من يطارد أكثر من أرنبين، فلن يصيد أي منهما! فلذلك انصح بأن يتم التركيز على عادة واحدة والالتصاق بتغييرها لمدة 30 يوما ثم انتقل بعدها إلى عادة اخرى. وأنصح أيضا بترك فترة مناسبة بين تغيير عادتين.

ولا تدعو الفشل من المرة الأولى في التغيير يدفعكم إلى اليأس... كلكم يعرف أن توماس ألف أديسون (زهق حالو) وهو يحاول في اختراع المصباح الكهربي في محاولات قبل أنها مئة وقيل أنها الف وقيل اكثر. فلا تيأسوا من الفشل.

أفضل كلمة وداع

«أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه»، هي كلمة تقال مرة واحدة على كل شيء يراد حفظه، علمنا إياها النبي صلى الله عليه وسلم ومن آثارها المجربة النافعة: حفظ الأموال والأولاد وغيرهما من السرقة والتعدي.

فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الله إذا استودع شيئا حفظه». رواه الإمام أحمد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه». رواه الإمام أحمد.

وهذا الحفظ عام في السفر وغيره، وهو أمان من السرقة والتعدي، ولو كان المستودع شيئا يسيرا ففي ذلك إظهار حاجة العبد لربه في كل صغيرة وكبيرة..

ولو قال الإنسان مثلاً: أستودع الله الذي لا تضيع ودائعه، ديني ونفسي وأماناتي وخواتيم عملي وبيتي وأهلي ومالي وجميع ما انعم الله به علي، لحفظ الله له ذلك كله، ولم ير ما يسوؤه فيه، ولحفظ من شرور الجن والإنس أجمعين.

وإليكم هاتان القصتان اللتان حصلتا لاحد الحريصين عليها.

القصة الأولى: يقول: كنت خارجاً من المسجد قبل عدة أسابيع ومعي أبنائي الصغار فانطلق أصغر واحد منهم يجري في اتجاه المنزل وكان هناك شارع يفصل بين المسجد والمنزل وهذا الشارع به بعض السيارات فخفت عليه أن تصدمه سيارة من السيارات المارة خاصة اني تذكرت اني لم احصنه في المسجد ولم احصنه قبل الخروج من المنزل مثل كل يوم.

فرفعت صوتي أحذره من السيارات وانا أقول له: (ثامر.. انتبه السيارات.. انتبه السيارات).. ولكن تأكدت في تلك اللحظة أن ابني منطلق ولن يتوقف عن الجري.

فوفقني الله أن أقول وبصوت مسموع: «استودعتك الله».. والله الذي لا إله إلا هو، وبالله وتالله، ما انتهيت من تلك الكلمة إلا وصوت فرامل سيارة! وإذا ابني يتوسط مقدمة السيارة وليس بينه وبين دهسه إلا شعرة .. فسجدت لله سجدة شكر أن حفظ ابني وأن سددني ووفقني للنطق بتلك الكلمة.

القصة الثانية:

ويقول: خرجت قبل يومين في الصباح متجها إلى العمل، وبعد أن جلست في السيارة قلت: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني استودعك ديني ونفسي وسيارتي، ثم انطلقت إلى العمل.

والذي حصل أني انشغلت بالجوال، فانحرفت السيارة إلى الخط المعاكس وتقابلت أنا وسيارة ثانية وجها لوجهه، فانحرفت السيارة الثانية بقدرة الله، وكنا قاب قوسين للارتطام ببعضنا وجها لوجه، وسلمني الله من حادث مؤكد.

لذلك قبل أن تخرج من بيتك تعود أن تستودع أهلك وبيتك ونفسك وسيارتك أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

العابد الزاهد عامر بن عبد قيس التميمي

عامر بن عبد قيس التميمي التابعي الجليل العابد الزاهد المشهور سافر يوما في قافلة فلما كان الليل جمع عامر متاعه، وربط فرسه بشجرة وطوّل له زمامه وجمع له من حشائش الأرض ثم قام يصلي بين يدي الله سبحانه وتعالى فتبعه أحد رفاقه لينظر أين يذهب عامر التميمي وماذا يصنع؟! فقد تكرر منه هذا الأمر كلما نام الناس انسل من بينهم بهذه الصفة ثم ذهب!

فوجده مستقبل القبلة يصلي صلاة لا أحسن منها ولا أكمل ولا أخشع، فلما صلى ما شاء الله أن يصلي، طفق يدعو الله ويناجيه، فكان مما قال:اللهم إني سألتك ثلاثاً فأعطيتني اثنتين ومنعتني واحدة.. اللهم فإني أسالك هذه الواحدة حتى أعبدك كما أحب وأريد وأخذ يلح على الله في هذه الواحدة.

فلما انقضت الصلاة خرج له ذلك الرجل ففزع منه فزعا شديدا وأخذ يتوسل إليه أن يستر عليه وقال: استر ما رأيت مني ستر الله عليك.

قال: والله لا أستر عليك إلاّ أن تخبرني ما هذه الدعوات التي دعوت؟!

قال: إن أخبرتك، تستر علي؟

قال: نعم

قال: أما الأولى: فدعوت الله أن يذهب من قلبي فتنة النساء، فوالله الذي لا إله غيره ما أصبحت أبالي جدارا أم امرأة.

وأما الثانية: فدعوت الله تعالى أن يذهب من قلبي مخافة الرجال، فوالله ما أصبحت أخاف إلا الله.

وأما الثالثة والتي لم تجب: فدعوت الله أن يذهب عني سنة النوم حتى أعبد الله عمري كله (سير أعلام النبلاء بتصرف).

رحم الله عامرا، ماذا نقول عن حالنا ونحن نتفنن في تقطيع الأوقات بشتى وسائل الترفيه والتسلية كما يقال؟ يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله: كلامك مكتوب، وقولك محسوب، وأنت يا ذا مطلوب، ولك ذنوب وما تتوب، وشمس الحياة آخذة في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب!